

إشكالية ضبط المصطلح في البحوث العلمية

أ. صورية دحماني د. سليمان بوراس

جامعة المسيلة

الملخص:

تتطرق هذه الورقة البحثية إلى إشكالية ضبط المصطلح في البحوث العلمية، وتبحث في الأسباب والنتائج، وتقدم مقترحات للحد من هذا العائق الذي يعترض سبيل الباحث، وقد انطلقت المداخلة من فكرة محورية، تتمثل في الدور الفعال لضبط المصطلح في جعل البحوث العلمية أكثر دقة. الكلمات المفتاحية: المصطلح، البحوث العلمية، الباحث، إشكالية.

Abstract:

This research paper addresses the problem of the control of the term in scientific research, examines the causes and consequences, and offers proposals to curb this impediment in the researcher's way. The intervention has been triggered by a pivotal idea ; the effective role of the control of the term to make scientific research more precise .

Keywords: term, scientific research, researcher, the problem

من المعلوم أن البحث العلمي يتطلب الدقة والطرح الموضوعي حتى يقدم نتائج بحثية يمكن الاستناد إلى صحتها، وقوام هذه الدقة التحكم في المصطلح وضبطه، لأن لكل علم مصطلحاته الخاصة به التي ينفرد بها عن باقي العلوم، وترك التعبير بمصطلحات العلم يعني عشوائية في البحث، وغياها للغة الدقيقة المطلوبة في كتابة البحوث العلمية، الأمر الذي يجعلنا ننطلق هذا التساؤل: إلى أي مدى يمكن اعتبار ضبط المصطلح أمرا ضروريا في كتابة البحوث العلمية؟

- ضرورة ضبط المصطلح في البحوث العلمية:

يكتسي المصطلح أهمية بالغة في البحث العلمي، إذ يعد مفتاحا لولوج أي علم، فالمصطلحات مفاتيح العلوم على حد تعبير الخوارزمي، و"مفاتيح العلوم مصطلحاتها ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي تجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يتميز كل واحد عما سواه، وليس من مسلك يتوصل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهازه من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ومضامينه"

إذن تتجلى أهمية المصطلح في كونه يحتزن مضامين معرفية تميز كل علم عما سواه، وباعتبار هذه الأهمية، على الباحث التسليح بالمصطلحات المناسبة لطبيعة بحثه، لأن "المصطلح أداة البحث ولغة العلم، وهو جزء من المنهج ولا يستقيم منهج إلا إذا قام على مصطلحات دقيقة تؤدي الحقائق العلمية أداءا صادقا وهو ثمرة العلم يسير بسيره، ويتوقف لتوقفه وتاريخ العلوم إلى حد ما تاريخ لمصطلحاتها" فلا قيمة للبحث العلمي بدون مصطلحات مضبوطة.

إن فهم المضامين البحثية مرتبط بمدى فهم المصطلحات، والتحكم في توظيفها يعني الفهم الجيد للمعرفة، و"معرفة المصطلح تفضي إلى فهم المادة العلمية، فضلا عن أن توحيد المصطلحات يؤدي إلى انطلاق الباحثين والمؤلفين من قاسم مشترك فيما يؤلفون ويكتبون" ما يعني أن فهم المصطلح وتوحيده يشكل أرضية مشتركة ينطلق منها الباحثون في كتاباتهم البحثية، كالرسائل الجامعية وأطروحات الدكتوراه.

فإذا كانت المصطلحات تعبر عن مفاهيم، والمفاهيم تعبر عن مضامين، فإن المعرفة مضامين تحتاج إلى بحث وتنقيب من طرف الباحث، والبحث العلمي من هذا المنظور ليس عملية عشوائية غير منظمة، بل يعتمد على التنظيم و يقتضي

الاعتماد على منهجية محددة واضحة المعالم، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى الدور المهم لضبط المصطلحات في تنظيم البحث و إبراز قيمته العلمية، وهو جانب لا يمكن إغفاله أثناء إعداد أي بحث علمي.

وعليه، يعد ضبط المصطلح من ضروريات البحث العلمي التي ينبغي على الباحث أخذها بعين الاعتبار، إذ "تتطلب عملية الإنتاج في أي علم من العلوم ضبط مصطلحاته ضبطاً دقيقاً والتحكم في استعمالها وفهم سياقها وطرق توليدها وظروف نشأتها في لسانها الأصلي" مما يعني أن الإحاطة بخلفيات المصطلح تعين الباحث على الفهم السليم للمصطلح و على حسن توظيفه.

وكل خلل في الجهاز المصطلحي حتماً ينعكس على جودة البحث ودقته، إذ "تجمع كل الدراسات والبحوث المصطلحية على أن المصطلحات تمثل مفاتيح العلوم، وهي نواة وجودها، ولا يمكن لها أن تؤسس مفاهيمها ومعارفها دون ضبط هذا الجهاز المصطلحي الذي يؤسس هوية كل علم من العلوم، بل تفاضل العلوم بمدى تطور جهازها المصطلحي ومسايرته للنظريات العلمية الخاصة به" هذا ما يثبت الدور المهم للمصطلح في معالجة أي قضية علمية، فلا وجود لعلم بلا مصطلحات خاصة تميزه.

تأسيساً على ما سلف يمكن القول: للمصطلحات دور بارز في التواصل بين أهل الاختصاص الواحد، باعتبار أن المصطلح يقترب معناه بالتوحيد والمواضعة بين المختصين في مجال بحثي واحد، فإذا كانت اللغة عامة تقوم على المواضعة والاتفاق بين المتخاطبين بهدف تسهيل التواصل والتعبير عن المقاصد، فإن المصطلح أيضاً لغة خاصة تقوم على المواضعة بين مختصين في مجال واحد بهدف الفهم والإفهام، فالمصطلح الموحد يمنع انتشار الفوضى بين الباحثين، و "إذا كان اللفظ الأداتي في اللغة صورة لمواضعة جماعية، فإن المصطلح العلمي في نفس الانتظام اللغوي يصبح مواضعة مضاعفة إذ يتحول إلى اصطلاح في صلب الاصطلاح، فهو إذن نظام إبلاغي مزروع في حنايا النظام التواصل الأول" أي يحمل المصطلح معنى التوحيد، وهو ذو طابع تواصلية يهدف إلى تيسير التواصل بين المختصين.

فاستخدام المختصين في مجال واحد مصطلحات محددة، يجعل من لغة تواصلهم لغة خاصة تختلف عن لغة العامة، كتواصل الأطباء مثلاً بمصطلحات طبية محددة معروفة متداولة بينهم، "واللغة الخاصة جزء من اللغة العامة، وتعتمد في وجودها عليها، وتتلقى معظم عناصرها منها، ولكنها أقل منها كما وأكثر منها دقة، فاللغة الخاصة نوع مقنن" هذا ما يعني أن المصطلح ينبغي أن يتصف بالوضوح والتداول والشيوع، ما يجعل مستعمله يكتب بلغة دقيقة بعيداً عن الذاتية والأهواء، حيث إن المصطلح لا يحمل معانٍ مجازية، والأصل فيه الوضوح والدقة.

إن تمكن الباحث من مصطلحات بحثه، يعينه على البحث والتحليل والتواصل مع الباحثين الآخرين، بينما لو كان فاقداً للجهاز المصطلحي للبحث فإنه حتماً يكون عاجزاً على الفهم والإفهام، لأن المصطلح في هذه الحالة أداة تواصلية على الباحث الجاد أن يمتلكها، حتى يفهم خبايا موضوعه ويتواصل مع غيره، فمن خصائص المصطلح الاتفاق الذي يجعله أداة تواصلية لا غنى عنها في البحوث العلمية.

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن كلمة المصطلح "في اللغة العربية مصدر ميمي للفعل (اصطلاح من الفعل صلح) حددت المعجمات العربية دلالة هذه المادة بأنها ضد الفساد وكذلك النصوص العربية على أن كلمات هذه المادة تعني أيضاً الاتفاق وبين المعنيين تقارب دلالي، فإصلاح الفساد بين القوم لا يتم إلا باتفاقهم" وقد أورد الجرجاني في مؤلفه التعريفات تحديد لمعنى الاصطلاح "إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح: إخراج اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل الاصطلاح: إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل الاصطلاح لفظ معين

بين قوم معينين" ومن هذا المنطلق، المصطلح يتحدد بالاتفاق والمواضعة على مدلول واحد، ليكون وسيلة لنقل الأفكار والتقارب بين الباحثين.

صفوة القول: يشكل ضبط المصطلح عائقا من عوائق البحث، إذا عجز الباحث عن التحكم في توظيفه، فيتسم بحثه بالفوضى المصطلحية، ومن أبرز تجليات هذا العجز: التعبير عن المفهوم بمصطلح من إنتاجه الشخصي متجاهلا أو جاهلا وجود المصطلح المتعارف عليه، كما يتجلى هذا العجز في توظيف العديد من المترادفات للمصطلح الواحد في البحث الواحد، الأمر الذي يجعله غير متجانس، وبهذا فقدان المصطلح لأهم خصائصه الدقة والاتفاق.

- أسباب اضطراب المصطلح في البحوث العلمية:

يمكن تصنيف الأسباب الكامنة وراء فوضى المصطلح إلى صنفين: صنف يتعلق بالباحث وتكوينه المعرفي المنهجي، وصنف يتعلق بالمصطلح وطرق وضعه ونقله.

1- الأسباب المتعلقة بالباحث وتكوينه:

هذا الصنف من الأسباب لا يمكن تعميمها على كل الباحثين، إنما المقصود هو فئة من الباحثين التي تعاني قصورا في التكوين العلمي والمنهجي الخاص بكتابة البحوث، ومن أمثلة هذا القصور عدم استيعابهم للمصطلحات العلمية الخاصة ببحثهم بسبب تحليلاتهم السطحية.

وفي هذا البحث نستدل ببعض المصطلحات اللسانية النقدية، مثلا القراءة السطحية لمصطلح الحداثة تجعل الباحث يحصر مفهومه في التحديث والتطور التقني، بينما مصطلح الحداثة من المصطلحات المتعددة التعاريف التي تعكس جذوره الثقافية الغربية، "و هكذا يبرز التميز بين التحديث كعملية مقترنة بتدبير واستهلاك التقنية، وبين الحداثة كنموذج عقلائي في التفكير والتدبير يهم مختلف مجالات الفاعلية الإنسانية بحيث يشمل إلى جانب العلم والتقنية التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية والسياسية والحياة اليومية" مما يعني أن الحداثة مصطلح والتحديث مصطلح آخر، وهما غير مترادفين.

إن الفهم السطحي للمصطلحات يؤدي إلى فهم مغلوط للبحث بعينه، كما أن عدم امتلاك الباحث الكفاءة الكافية لكتابة البحوث العلمية بطريقة منهجية منظمة بعيدة عن الذاتية والتسرع على حساب جودة البحث، حيث إن العديد من الباحثين يجعل أكبر همهم أن ينجز بحثه في وقت قصير، والحقيقة أن البحث العلمي يتطلب الصبر والتأني وتحري الدقة وامتلاك آليات الكتابة العلمية.

كما يتجلى الضعف في تكوين الباحثين في استخدام مترادفات عديدة لمصطلح واحد في بحث واحد، مثل المصطلح الانجليزي pragmatics ومقابله باللغة الفرنسية pragmatique هذا المصطلح له العديد من المقابلات في اللغة العربية نتيجة تعدد الترجمات واختلاف وجهات النظر، ومن بين هذه المقابلات: التداولية (وهو المصطلح الأشهر) ومصطلح التداوليات ومصطلح علم المقاصد، ومصطلح البراغماتية، ومصطلح الذرائعية، ومما لاشك فيه أن توظيف هذه المقابلات العربية في بحث واحد تجعله يتسم بالفوضى المصطلحية، وكان الأصل أن يوحد الباحث المصطلح، وخاصة أن لكل مقابل عربي ملايسات معرفية تتعلق بالترجم، فضلا عن تلك الجذور الثقافية للمصطلح في اللغة الأصل.

ومما يعاب أيضا على الباحث الإنشائية في التعبير، والابتعاد عن اللغة العلمية الدقيقة، إذ يعبر عن بعض المفاهيم بألفاظ تعبيرية من إنشائه، غافلا عن المصطلحات الخاصة بها، وهذا الأمر يدل على ضعف تكوينه وقلة اطلاعه" فما زالت أغلب الجامعات إلى اليوم تعتمد المناهج التقليدية في وضع البرامج وطرق تدريسها، وهذا ما يؤدي إلى تكوين الطالب تكويننا عاما يفتقر إلى الدقة في المعلومة والقدرة الفائقة على التحكم فيها، أضف إلى ذلك أن طلاب قسم اللغة العربية الذين هم

معنيون بتطوير اللسان العربي لا يحسنون اللغات الأخرى التي نشأت بها اللسانيات الحديثة، وهو ما يخلق لديهم اضطراب في الفهم والتطبيق لما هو مترجم"

ومن هنا يبرز عائق آخر يتعلق بتكوين الباحثين هو التعامل مع المصطلحات المترجمة، لاسيما تلك المصطلحات التي تعرف تعددا في تحديداتها في اللغة الأصل وفي اللغة العربية نتيجة تعدد الترجمات واختلاف المسالك العلمية للمترجمين العرب، ومن الأمثلة التي نستدل بها في هذا الموضع مصطلح النص "الذي يعد مفهومه مفهوما إشكاليا، لأن طابعه المتغير والتشكلات التي يتمظهر بها تجعل من تعريفه مهمة صعبة، وباعتباره سيرورة تواصلية، فإن العديد من الأنماط التواصلية تتنازع حوله وتحاول أن تجره إلى حقلها، وتوظيفه توظيفا إجرائيا"، فمن الباحثين من يجعل مصطلح النص مرادفا لمصطلح الخطاب، ومنهم من يربط النص بالكتابة والخطاب بالمشاهدة... وهذا لا يشكل عائقا للباحث فحسب، بل إن "الاضطراب الدلالي لترجمة المصطلح اللساني وعدم قدرته على الاستجابة لضبط المفهوم الأصلي يمثلان عائقا رئيسيا أمام عملية الترجمة وتطوير الدرس اللساني" وأي اضطراب في ترجمة المصطلح، ينتج عنه اضطراب في فهمه وتداوله.

كما أن اختلاف تحديدات المصطلح في اللغة العربية وتعدد المفاهيم، نتج عنها لبس في الفهم والتوظيف أيضا، وما نستدل به في هذا السياق مصطلح "الثقافة ويقابله ب اللغة الأجنبية culture وقد زادت تعريفات هذا المصطلح على مئتي تعريف وكثيرا ما يخلط بينها وبين السلوكيات الاجتماعية أو الفكرية" ما أدى إلى فهم مغلوط للمصطلح الثقافة فارتبط بالمستوى التعليمي، أو اقترن بأصحاب الشهادات الجامعية، وكثرة المفاهيم جعلت المصطلح غير مستقر.

كما عرفت بعض المصطلحات تداخلا في المفاهيم، حينما تتقارب، وحينما آخر تتباين، مثل جدلية النص والخطاب اللذان عرفا اضطرابا تحديدهما في الساحة النقدية العربية، حيث إن "إشكالية النص والخطاب لا تزال في الوسط الثقافي النقدي العربي على الأقل إحدى أهم الإشكاليات المشكلة التي لم يحل إشكالها بعد، على الأقل، بصورة نهائية، تمكننا من الاستفادة مما أنجز غربيا على صعيد هذين المفهومين"، وتتجلى هذه الجدلية فيما "نلمسه في الساحة النقدية والثقافية العربية من خلط منهجي بين هذين المفهومين، وعدم وضوح الرؤية لحقيقة كل منهما، ما أدى إلى عدم الدقة في استعمالهما في وعي الكثير من الدارسين العرب على وجه الدقة والتحديد، ما جعلهما يبدوان في كثير من الدراسات العربية، بما فيها الدراسات الأكاديمية متطابقين حينما، ومتداخلين حينما، ومتكاملين حينما"

وهذا الخلط المفهومي بين الخطاب والنص، لا شك "سيؤثر سلبا على الباحثين والناشئة من الدارسين الأكاديمين مع هذين المصطلحين، وتفاعلهما معهما بصورة سلبية، تنبئ عن الكثير من الجهل والسطحية، فضلا عن عدم الوعي بأهميتهما على الصعيد المنهجي والإجرائي في تناول ما يتناولونه من قضايا النقد والإبداع عموما"

ومن هنا كان لزاما على الباحث ألا يتسرع في توظيف المصطلحات لأن بعض المصطلحات تنطوي على خلط والتباس مفهومي يتطلب التأني والبحث العميق، لا القراءات السطحية.

2- أسباب تتعلق بوضع المصطلح ونقله:

لقد أفرز التطور العلمي والتكنولوجي المتسارع طوفانا من المصطلحات الجديدة التي تتطلب إيجاد مقابل لها في الثقافة العربية، بغية مواكبة التطور العلمي الحاصل في العالم، وهذا الأمر يكون عن طريق الترجمة أو التعريب. وللمصطلح هنا دور بارز وخطير في الوصول إلى المعارف والعلوم، فهو "أداة من أدوات التفكير العلمي ووسيلة من وسائل التقدم العلمي والأدبي ولغة مشتركة للتفاهم والتواصل بين الناس عامة، أو فئة خاصة في مجال محدد من مجالات المعرفة والحياة" لأهمية

المصطلح في التواصل العلمي فإن وضعه ونقله يعرف إشكاليات أوقعته في فوضى وعدم استقرار، و نحمل أهم أسباب ذلك في النقاط الآتية: .

- شكلت الترجمة إشكالية كبيرة في نقل المصطلحات الغربية، فإن كانت والترجمة جسرا ثقافيا و حضاريا يساهم في مواكبة الجديد النقدي على الساحة العالمية، إلا أن هذا لا يعني أنا عملية سهلة لا مخاطر فيها، فقد " اعتبرت الترجمة إلى عهد غير بعيد فنا من الفنون لا يستطيع ممارسته إلا من تمتع بموهبة أكيدة، وثقافة واسعة تخوله الخوض في غمار هذا النوع من الأدب، فغالبا ما كان المترجمون أدباء محترفين يتعاطون الترجمة كنوع من الترف الأدبي وكانت الترجمة تكاد لا تخرج من دائرة الأدبيات، إلا أن التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يشهده القرن العشرون جعل الترجمة - بسبب الحاجة المتزايدة لها - تخرج شيئا فشيئا من طوق الأدب لتدخل في مجالات أخرى علمية وتقنية"

والترجمة بهذا المعنى وسيلة ضرورية للمثاقفة، لاسيما ونحن نعرف تطورات علمية وتقنية متسارعة، تتطلب الفهم، ما جعل الترجمة أمرا ضروريا للبحث العلمي، ومتابعة الجديد الحاصل في العالم، ويجدر التنبيه هنا إلى أن أهمية المصطلحات في البحوث العلمية تقتضي أن تكون الترجمة دقيقة، فترجمة المصطلحات ليست ترفا فكريا، بل مهمة صعبة تحتاج إلى الكفاءة العلمية والتمكن من اللغة الأصل واللغة الهدف .

ومن العقبات التي تعترض المترجم للمصطلح السياق الثقافي الذي حف ظهور المصطلح، حيث يحمل كل مصطلح شحنات ثقافية حضارية تعكس ملامح البيئة الأصل " إذ من المسلم به أن ثقافة أي مجتمع وتاريخه وعقله لا يمكن أن تنفصل عن تاريخ لسانه، فالحياة والتواصل مع الآخرين يقتضيان لسانا مشتركا، يحتفظ هذا اللسان بأثر الثقافة المشترك، فللسانيات إذا بعد ثقافي لا يمكن إغفاله في البحث" لأن إغفال السياق الثقافي ينتج عنه تذبذب في وضع المصطلح المناسب.

إن عملية نقل المفاهيم الغربية لا تسلم من المخاطر والمزالق، حيث تحتاج هذه العملية إلى التثبت، فأى مصطلح مترجم هو "منقول إلى غير البيئة اللغوية التي ولد فيها ومن خارج نظامها اللغوي، ولا صلة لها بها ولا بأصولها، ولا بأبنية كلماتها، وهذه الغرابة تؤثر في الفهم والإفهام، وعندئذ يتوقف الاتصال الواضح بين المرسل والمستقبل ولا يفهم المخاطب المقصود من الكلام الذي يحتويه لأن الغرض من المصطلح أن يكون أداة تفاهم ووسيلة التواصل، فلا بد أن ينسجم ومفردات اللغة وتراكيبها"، مما يعني أن فهم السياق الذي رافق المصطلح يعين في إيجاد مقابل عربي لها، حيث " تركز ترجمة المصطلح على ترجمة المتصورات والمفاهيم لا على ترجمة الدلالات والتسميات، فهي نقل للمتصور في ثوب لغوي جديد للتعبير عن مفهوم في لباس مصطلحي جديد مقيد بالحقول العلمي ومتصل بالتواصل المعرفي بين أصحاب الاختصاص"

وترجمة المصطلحات لا تعني النقل الشكلي السطحي، أو استنتاج لإيجازات المصطلح، فهي ليست ترجمة حرفية بقدر ما هي نقل للمفاهيم نقلا سليما، فسوء الترجمة ينتج عنه نقل غير دقيق للمفاهيم وفي هذا السياق نذكر مثالا ذكره علي بن إبراهيم النملة في مؤلفه: إشكالية المصطلح في الفكر العربي، بين فيه أن سوء الترجمة ينتج عنها صعوبة الفهم من قبل المتلقين، فذكر ترجمة كمال أبو ديب لكتاب الاستشراق لادوارد سعيد، وذكر بأن المترجم تعمد إلى التعبيرات الحداثيّة التي تتسم بالإبهام "أي ليست كل الترجمات موفقة تعين المتلقي على فهم المضامين.

أيضا من أسباب الفوضى المصطلحية المقابلات العربية المترادفة لمفهوم واحد، هذا ما أربك الجهاز المصطلحي العربي وأوقعه في فوضى لا جدوى منها، ما جعل الباحث يقع في حيرة وارتباك أمام المصطلحات المتعددة لمفهوم واحد، وفي

بعض الأحيان يكون هذا التعدد مبالغ فيه. نذكر في هذا السياق تعدد ترجمة مصطلح *linguistique* الذي تم ترجمته إلى ما يفوق العشرين مصطلحا، وهي كالاتي: "1. اللانغوستيك2. فقه اللغة 3. علم اللغة 4. علم اللغة الحديث 5. علم اللغة العام 6. علم اللغة العام الحديث 7. علم فقه اللغة 8. علم اللغات 9. علم اللغات العام 10. علوم اللغة 11. علم اللسان 12. علم اللسان البشري 13. علم اللسانة 14. الدراسات اللغوية الحديثة 15. الدراسات اللغوية المعاصرة 16. النظر اللغوي الحديث 17 علم اللغويات الحديث 18 اللغويات الجديدة 19. اللغويات 20. الألسنية 21. الألسنيات 22. اللسنيات 23. اللسانيات" وهذا التعدد لا يقرب المفهوم بقدر ما يبعث في الباحث الحيرة والشعور بالضياع أمام هذه المصطلحات المتعددة.

- ومن أسباب اضطراب المصطلح ضعف وضعه ومناسبته للمفهوم المطلوب "ويمكن أن ترجع عدم تأسيس المفهوم المناسب للمصطلح في الدراسات العربية إلى المسائل التالية:
- غياب المعاجم المتخصصة في التعريف المصطلحي والتقييس.
- غياب البنوك المصطلحية الفاعلة
- عدم تهئية اللغة العربية ومواكبتها لتطور العلوم وضعف القرارات الصادرة من المؤسسات المعنية بالمصطلح وباللغة العربية عامة

__ عدم التنسيق بين المؤسسات المعنية ومراكز البحث العلمي و مؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي

__ ضعف الترجمات وكثرة أخطائها التي شاعت بين القراء والباحثين"

- ومن الأسباب المؤدية لاضطراب المصطلح، تعدد وجهات نظر الباحثين المترجمين، واختلاف مشاربهم العلمية "فاختلاف الينابيع التي ينهل منها علماء العرب بين لاتيني وسكسوني وجرماني وسلافي، وطبيعة الجدة المتجددة التي تكسو المعرفة السياقية المعاصرة، وتراكم الأدوات التعريفية والمفردات الاصطلاحية بما يقتضيه تراوج مادة العلم و موضوعه في شيء واحد هو الظاهرة اللغوية، ثم طفرة الوضع المفهومي وما ينشأ عنه من توليد مطرد للمصطلح الفني بحسب توالي المدارس اللسانية وتكاثر المناهج التي يتوسل بها كل حزب من المنتصرين للنظرية الواحدة أحيانا، كل ذلك قد تتضافر فعقد واقع المصطلح اللساني فجعله إلى الاستعصاء والتحالف أقرب منه إلى التسيوية والتماثل" وهذا ما يعيق الباحث.

هذه المشارب الفكرية المتعددة أسهمت في تباعد الباحثين وعدم التنسيق بينهم من أجل توحيد المصطلحات وتقاربها، "ومما زاد الطين بلة، كثرة المصطلحات وتنوعها بين إنجليزية وألمانية وفرنسية وغيرها، ثم ارتباك الوضع المفهومي وما ينشأ عنه من توليد للمصطلح الفني بحسب تعارض المدارس اللسانية وتكاثر المناهج التي يتوصل بها الإنتاج المصطلحي، وهذا ومن الأمثلة الدالة على ذلك التباين المصطلحي العربي المقابل لمصطلح *pragmatique* الذي ترجم ترجمات متعددة: التداولية، التداوليات، البراغماتية، علم المقاصد، نفعية أو ذرائعية وهي ترجمات تختلف من حقل علمي إلى آخر، فالمصطلحان نفعية أو ذرائعية نشأ في حقل فلسفي، ومصطلح تداولية وبراغماتية نشأ في حقل العلوم الإنسانية ومصطلح علم المقاصد نشأ في تحليل الخطاب" مما يستلزم ضرورة فهم الباحث والمترجم على حد سواء لأصول المصطلح ومجالات استخدامه.

- ومن الإشكاليات المنهجية في استعمال المصطلح، واضطرابه بين المترجم والتراشي، حيث يوظف الباحث المصطلح المترجم والمنقول عن الغرب، وفي الآن ذاته يوظف المقابل التراشي العربي، فينتج عن ذلك اضطرابا وعدم تناسق

مصطلحي، مثل: توظيف المصطلح الغربي *contexe* بمعنى تراثي المقام أو مقتضى الحال، "مما ازداد به الأمر تفاقما دوران المعرفة اللغوية بين متصورات مستحدثة ومفاهيم متوارثة، كثيرا ما يتجاذب الميراث الاصطلاحي ذوي النظر فيترعون صوب إحياء اللفظ واستخدامه في غير معناه المدقق، فإذا بالمدلول اللساني يتوارى حيناً خلف المفهوم النحوي، ويتسلسل أحيانا وعليه مسحة من الضباب تعتم صورته الاصطلاحية فتتلايس القضايا ويعسر حسم الجدل: أعلى هوية اللفظ يتحاورون أم على مضمون الدلالة" والتذبذب في توظيف المصطلح بين التراثي والمترجم يشكل إشكالية يتطلب حلها توحيد المصطلحات وعدم التسرع في وضعها، لأن عملية قراءة التراث تحتاج إلى باحث واسع الثقافة، له خبرة ودراية بالتراث اللساني العربي وفي الآن ذاته مطلع على المنجز اللساني الغربي.

- يعد اضطراب المصطلح في اللغة الأصل من العوائق التي تعترض سبيل المترجم والباحث، حيث عرفت بعض المصطلحات التي ترجمت إلى العربية ملابسات فكرية وفلسفية في بيئتها الأولى، كما شهدت اختلافا واضطرابا في تحديد مفاهيمها تحديد مضبوطا ودقيقا، ما جعل المصطلحات المترجمة تعرف اضطرابا وتباينا في اختيار المقابل العربي لها، مثل: مصطلح التفكيكية *déconstruction* الذي اكتنفه غموض في بيئته الأصل، باعتباره مصطلحا أفرزه تيار ما بعد الحداثة، وفي هذا السياق نستدل بكتابين عربيين تطرقا لمصطلح التفكيكية حيث اختلفت المقابلات العربية لهذا المصطلح فعبد الله الغدامي استخدم مصطلح التشريرية في كتابه الموسوم بالخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريرية كما استخدم عبد العزيز حمودة مصطلح التفكيك في كتابه المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، هذا الكتاب الذي كشف فيه عن حقيقة هذا المفهوم بقوله: "إستراتيجية التفكيك قد تأسست على رفض عملية النقد والشك في كل الأنظمة والقوانين والتقاليد والتحول إلى نهائية المعنى لقد انطلق التفكيك كالثور الهائج في حانوت العاديات يحطم كل غال وثمين أو مقدس، استبدل التفكيكيون بالنموذج ذاتية القراءة والتمرد على نهائية النص، وإغلاقه، ثم أهتم أيضا استبدلوا بعملية النقد أدبية اللغة النقدية" وما يمكن ملاحظته من هذا التحديد للتفكيكية هو خطورة التعامل السطحي لبعض المصطلحات الغربية التي تحتزن خلفيات إيديولوجية وحضارية.

- غياب التنسيق بين الباحثين والمترجمين و قلة التواصل بينهم، حتى أن الكثير من الباحثين في المغرب على سبيل المثال لا يعلم ما يوضع من مصطلحات جديدة في المشرق أو العكس، فعدم "إيمان كثير من الباحثين بوحدة الأمة العربية وحرص بعضهم على النعرة الإقليمية الضيقة التي تؤدي إلى تمزيق الأمة قبل تمزيق المصطلحات وتعددتها، وهذا الفهم وضيق الأفق دفع بهم إلى إهمال ما قام به زملاؤهم في الأفطار الأخرى، والتنكر لما قدموه من أبحاث وما اصطالحوا عليه" وعليه، كلما زاد التباعد بين الباحثين وتواصلهم العلمي، زادت رقعة الفوضى المصطلحية.

- ومن الأسباب المؤدية إلى تعدد المصطلح، و من ثمة غموضه لدى الباحثين، "عدم وجود رابطة للمترجمين العرب يستطيعون من خلالها تنسيق أعمالهم التي ينوون ترجمتها مسبقا، وكذلك التي تم ترجمتها سابقا" هذه الرابطة تجعل من الترجمة عملا منظما منسقا يؤتي ثماره، فالتنسيق والتخطيط لوضع المصطلح المناسب يضع حدا لفوضى المصطلح، كما أن التفكير في غربة المصطلحات المتعددة وانتقاء المصطلح المناسب أمر مفيد في حل إشكالية المصطلح المتعدد.

- غياب المنهج البحثي أحيانا وضعف التكوين الخاص ببعض المترجمين العرب، حيث "إن العفوية وغياب المنهج الواضح في وضع المصطلح الذي يخضع في كثير من حالات وضعه إلى عملية المزاج الشخصي أدى إلى كثير من النتائج السلبية التي تتسم بالاضطراب والفوضى وعدم الدقة والتناسق والوضوح" ومما لا شك في أن مثل هذا الاضطراب المصطلحي سيعيق الباحث ويجعله يشعر بالارتباك ويجد صعوبة بالغة في التعامل مع المفاهيم لا سيما المترجمة منها.

• وما يشكل اضطراباً في المصطلحات العربية اختلافها" من دولة عربية إلى أخرى، بل ومن جامعة إلى أخرى، وعدم الالتزام بما تقره وتصادق عليه مؤتمرات التعريب العربية، وعدم استخدام المصطلحات الموحدة، ولعل السبب يعود إلى أن رياح التعريب والعولمة لا تزال عاصفة" مما يدل أن الانبهار بالمنجز الغربي عامل آخر وراء التشتت المصطلحي، إضافة إلى "ضعف القرارات الصادرة من المؤسسات المعنية بالمصطلح وباللغة العربية عامة" وهذا ما ينعكس سلباً على البحث العلمي الذي يحتاج إلى دقة المصطلح.

- مقترحات للحد من إشكالية المصطلح في البحوث العلمية:

تزايد المصطلحات بتزايد التطورات العلمية والفكرية في الساحة العالمية، إذ لكل ما يستحدث في أي مجال بحثي وتقني يتطلب مصطلحات تعبر عنه وتسهل نقله، "وإذا كان العلم والمعرفة في تطور ونمو مستمرين، فإن هذا يعني أن المصطلح لن يكون مستقراً كما نريد، بل علينا أن نصطلح ونطور مصطلحاتنا مع تطور العلم حتى نبقي مواكبين لهذا التطور، والمصطلحات كما هو معروف تطلق عند الحاجة إليها وتخلق أثناء الدراسة والبحث" ما يقتضي التفكير الجدي في إيجاد حلول للمصطلحات العربية، حتى نبقي على اطلاع على الجديد العلمي والبحثي، وأيضاً حتى يسهل فهم المضامين العلمية.

وعلى الرغم من المحاولات العديدة للباحثين والمترجمين والجامع العربية للحد من فوضى المصطلح والسعي لتوحيده، إلا أن هذه الإشكالية مازلت قائمة وخاصة ونحن نعرف انفجاراً مصطلحياً لصيق بالانفجار المعرفي، ما جعل البحث في إشكالية المصطلح أمراً لا بد منه حتى لا يشكل عائقاً أمام الباحث، ونجمل أهم المقترحات التي يمكن أن تحد من هذه الإشكالية في النقاط الآتية ذكرها:

• ضرورة الاهتمام بعلم المصطلح وإبراز أهميته للباحثين، باعتباره تخصصاً علمياً يستوجب تكوين متخصصين فيه وفي قضاياها في سبيل استثماره علمياً وثقافياً وحضارياً" لذا على الباحث الجاد أن يتحكم في مصطلحات بحثه حتى يتحكم في المضامين، كما أن "وضع منهجية دقيقة ملزمة لكل المصطلحين أمر هام لا بد من وجوده حتى يمكن أن نصف عملية الاصطلاح عندنا بأنها عملية مبنية على أسس ومنهج سليمة، ولا تشكل العفوية فيها شيئاً يذكر، كما أنها بعيدة عن الفهم الخاص والمزاجية الفردية" أي إن الدقة في وضع المصطلح أمر يعين الباحث على فهمه وتوظيفه، كما أن العشوائية والفردية في وضع المصطلح عامل مباشر لفوضى مصطلحية لا طائل منها.

• ضرورة اطلاع المترجم على السياق الثقافي الذي رافق ظهور المصطلح والحرص على وضع معاجم متخصصة يلجأ إليه الباحث من أجل فهم المفاهيم المستحدثة في مجال تخصصه البحثي.

• الاستفادة وتطبيق ما جاءت به الجامعات العربية بهدف تسهيل توحيد المصطلح ومن ثم سهولة توظيفه من طرف الباحثين، والحد من الفوضى المصطلحية، "فليس الهدف من توحيد المصطلح تجميد اللغة وتجميد العلوم بترجمة معينة، أو باعتماد لفظة دون غيرها، بل الغرض من التوحيد تجنب المصطلحات المشتركة التي تصبح مترادفات في اللغة العلمية العربية التي يجب أن تخلو منها قدر الإمكان" مما يعني أن توحيد المصطلح قدر المستطاع من شأنه إعانة الباحث على ضبط مصطلحات بحثه والتحكم في مضامينه.

• على الباحث التحلي بالصبر، لأن البحث العلمي يحتاج إلى بذل الجهد في تحري الدقة العلمية ومنها ضبط المصطلح الذي يستلزم القراءة العميقة والإحاطة بملاساته الحضارية الفكرية والثقافية.

وفي ختام هذا العمل يمكن القول: للمصطلح دور بالغ الأهمية في كتابة البحوث العلمية، وضبطه يعد ضرورة، لأن البحث العلمي يتطلب اللغة الدقيقة البعيدة عن الإنشائية والعاطفة، ومن هنا صار لزاماً على الباحث الجاد أن يتحكم في المصطلح، باعتباره أداة تواصلية على الباحث امتلاكها حتى يفهم موضوعه الفهم الصحيح، وحتى يتمكن من التواصل مع غيره من الباحثين.

كما يشكل المصطلح عائقاً من عوائق البحث العلمي عندما يعجز الباحث عن توحيد مصطلحات بحثه والتعبير بالمصطلح المناسب عن المفهوم المناسب، أو يوظف المصطلحات توظيفاً عشوائياً، وتعود أسباب هذه الإشكالية إلى جملة من الأسباب أهمها: الضعف المنهجي والمعرفي لبعض الباحثين، فضلاً عن اضطراب المصطلح العربي المترجم واختلاف المشارب المعرفية للمترجمين وعدم التنسيق بينهم، مما أدى إلى فوضى مصطلحية من أهم تحليلاتها: تعدد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد أو تعدد المفاهيم للمصطلح الواحد، وهذا التذبذب حتماً يعيق الباحث ويجعله يشعر بالحيرة في اختيار المصطلح الأصح للتعبير عن المفهوم المطلوب.

ومن هذه المنطلقات، يشكل المصطلح إشكالية تعترض سبيل الباحث، والتفكير في حلول لها أمر لا بد منه، لأن البحث الذي يختل جهازه المصطلحي يفقد شيئاً من دقته ومصادقته العلمية.

مراجع العمل:

1. عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010
2. محمد حسن عبد العزيز، المصطلح العلمي عند العرب تاريخه ومصادره، مجلة اللسان العربي، العدد 54، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 2002
3. أحمد مطلوب، بحوث مصطلحية، منشورات المجمع العلمي ببغداد، 2007
4. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف الجزائر، منشورات ضفاف بيروت، ط1، 2013
5. علي القاسمي، اللغة العامة واللغة الخاصة (خصائص اللغة العلمية)، مجلة اللسان العربي، العدد 54، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 2002
6. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، دط، دت،
7. الجرجاني، التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد القاهرة
8. عز الدين خطابي، أسئلة الحداثة ورهاناتها في المجتمع والسياسة والتربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الاختلاف الجزائر، ط1، 2009
9. حسن حمري، نظرية النص غلى سميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2007
10. علي بن إبراهيم النملة، إشكالية المصطلح في الفكر العربي، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010
11. عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص المفهوم العلاقة السلطة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 2012
12. عبد الله أبو هيف، المصطلح العربي تعريب وترجمة، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد: 2/28، 2006
13. إنعام بيوض، الترجمة الأدبية مشاكل وحلول، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2008
14. عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب و أنساق الثقافة، منشورات الاختلاف الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، ط1، 2010
15. مهدي صالح سلطان الشهري، في المصطلح ولغة العلم، منشورات كلية الآداب ببغداد، 2012
16. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتب، بيروت
17. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم الفكر، 1998
18. بشير العيوى، الترجمة إلى العربية قضايا و آراء، دار الفكر العربي، ط1، 1996
19. أحمد بن عبد القادر المهندس، دور مركز الترجمة بجامعة الملك سعود في الترجمة وإشاعة المصطلح العلمي الموحد، مجلة اللسان العربي، العدد 54، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 2002
20. محمد رشاد الحمزاوي، إشكالية المصطلح، إشكاليات مجلة العلوم الإنسانية، العدد 2، البحرين